نصوص مشتركة من آثار الإبراهيمي و جمعية العلماء

(دراسة توثيقية تحليلية)

د. محمد العيد تاورتة

جامعة منتوري

قسنطينة/ الجزائر

1 - تمهيد :

نحن هنا لا نتحدث عن آثار الشيخ البشير الإبراهيمي الخاصة (1) كما لا نتحدث عن آثاره الشاملة (2) ، و إنما نتحدث عن بعض الآثار التي يمكن أن نصفها - إن جاز الوصف التالي - بأنها مواقف مشتركة أو زوايا مشتركة بين الإبراهيمي و بين بعض الأعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

و الحق أن الهدف الأول من هذا العمل هو أنه يدخل في الإطار العام لجمع التراث الجزائري مهما كانت قيمته الفنية أو التاريخية ، و مهما كان نوع المحتوى الذي يحمله هذا التراث ، كما يهدف هذا العمل كذلك إلى خدمة هذا التراث بصورة تحاول الاقتراب - ما أمكن - من الحقيقة التاريخية و الموضوعية العلمية ، مع إدراكنا أن عملية جمع التراث و إعادة نشره يجب أن تسبق عمليات الفرز و التصنيف و الحوار ، و ما يتبعها من استخراج الحقائق التاريخية أو الدراسات العلمية الموضوعية حول حركة المجتمع الجزائري الحديث في الفترة التي تسبق ثورة نوفمبر 1954 م ، و لعل هذا الهاجس هو الذي دفعني في هذا العمل إلى اقتراح نشر بعض النصوص التي لم تأخذ طريقها إلى القراء بصورة واسعة توازي مكانتها من حيث تسجيلها لمواقف من تاريخ جمعية العلماء و من تاريخ الجزائر في الفترة المعاصرة بصفة عامة .

أما العنوان الذي اقترحته لهذا العمل - نصوص مشتركة - فقد فرضته جزئيات لم تكن غاية مقصودة ، و إنما جاءت نتيجة بحث علمي جامعي في مجال التراث الجزائري الحديث ممثلا في جمع كتابات الإبراهيمي و دراستها ، في الفترة التي تسبق تاريخيا بداية الحرب العالمية الثانية ، على وجه الخصوص (3) .

لقد كنت في بداية انشغالي بذلك البحث أجمع كل ما وصلت إليه مما له علاقة بتراث الإبراهيمي ، و لكن عند الفرز و الدراسة وجدت نفسي أمام إشكال في بعض النصوص التي : إما أن يكون (الإبراهيمي) قد كتبها أو صاغها ، نيابة عن جمعية العلماء أو عن مجلسها الإداري - في الاجتماعات أو المناسبات التي كانت الجمعية تعبر من خلالها عن (قرارات أو عن مواقف) من القضايا التي كانت تشغل بالها ، و هي في الواقع قضايا كانت تشغل اهتمام معظم الشعب الجزائري في الثلاثينيات - و إما أن تكون تلك الكتابات من الإبراهيمي تلخيصا أو صياغه لمحتويات بعض خطب رئيسه و زميله الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس .

و في مقابل ذلك - و بخاصة في فترة الأربعينيات - كانت هناك بعض الخطب أو الدروس التي كان الإبراهيمي يرتجلها - و ما أكثر ما كان يرتجل - و لكن ينقلها أو يلخص محتواها بعض الحاضرين من زملاء الإبراهيمي أو من تلاميذه ، و بالتالي فهي أيضا - في تقديري - جهد مشترك بين الإبراهيمي و غيره من العلماء الذين نقلوها أو لخصوها ، بغض النظر عن نسبة الاشتراك في تلك الأعمال .

انطلاقا من ذلك الواقع في تلك الأعمال ، رأيت أنه ربما يكون من الأقرب إلى الموضوعية العلمية و إلى الحقيقة التاريخية أن أصف تلك الكتابات بالجهد المشترك ، بدلا من أن أنسبها إلى الإبراهيمي أو إلى غيره من أولئك العلماء ، خاصة و أن بعض تلك النصوص تحتوي على ما يشير إلى الاشتراك في الجهد ، بل وجدنا من بينها ما يشير إلى - التنازع - حول نسبة أحد النصوص - بين الإبراهيمي و بين أحمد توفيق المدني (4) . من هنا إذن جاءت فكرة تسميتنا للنصوص التي تشكل محور هذا العمل بأنها (نصوص

مشتركة بين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) .

و مع ذلك تبقى هذه التسمية فكرة قابلة للحوار و التصحيح - لأن الهدف هو الحقيقة العلمية - لكن الأهم هو التنبيه إلى قيمة هذه النصوص - من تراث الإبراهيمي و من تراث جمعية العلماء في الدلالة على الجهد المشترك بين أعضائها - و الدعوة إلى إعادة نشر ما لم يعد نشره حتى الآن ؛ فقد بقيت بعض هذه النصوص في مصادرها الأصلية من صحف الثلاثينيات أو مجلة الشهاب ، و بالتالي يصعب على قراء الأجيال الجديدة الحصول عليها و قراءتها و التعرف إلى محتوياتها التي تمثل جانبا مهما من جهد الجمعية في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر .

و سأسلك في التعامل المنهجي مع هذه النصوص في هذا العمل طريقين : الأول ، مع النصوص التي أعيد نشرها حديثا سواء ضمن تراث ابن باديس أو ضمن تراث الإبراهيمي ، أو على شكل ملاحق لبعض الكتب التي اهتمت بدراسة التراث الجزائري في جوانبه الأدبية أو الفكرية أو التاريخية أو غيرها . و في هذه الحالة سأشير إلى مصادرها الأصلية و إلى مواقعها الحالية ، و سأعلق قدر الإمكان على كل ما أراه ضروريا للتعليق ، أما الطريق الثاني فهو : مع النصوص التي لم يعد نشرها - فيما أعلم - و هنا سأشير أيضا إلى مصادرها الأصلية ، مع ما وجدته حولها من أخبار و تعليقات ، ثم أقدم بعض نصوصها كاملة ، مقترحا إعادة نشرها هنا ؛ إن كان الحيز يسمح بذلك ، و إلا فإن لها مواطن أخرى ستظهر من خلالها في لاحق الأيام .

و إذا كانت أكثر من جهة في بلادنا تنادي - منذ استعادة الاستقلال - بإعادة كتابة تاريخ الجزائر بأقلام جزائرية ، تجنبا لما

قد يكون حدث فيه من أخطاء أو تزييف مقصود أو غير مقصود ، و إذا كانت كتابة التاريخ تعتمد على (وجود الوثيقة) بالدرجة الأولى ، فإن إعادة نشر هذه النصوص - و كل نصوص التراث الجزائري - هو السبيل الأهم المؤدي إلى إضاءة هذه الزاوية أو تلك من تاريخ بلادنا ، و بالتالي إعادة كتابته بطريقة علمية موثقة .

2 - تعليقات حول النصوص المعنية :

1 . 2 - النص الأول :

(الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين) (5) .

هذا النص هو وصف تقريري لأول جلسة عامة جمعت علماء الجزائر في نادي الترقي بعاصمة الجزائر في الخامس من (ماي) سنة 1931 . و بهذه المناسبة ، يمكن القول بأن نشوء هذه الجمعية في تلك الظروف يعد حدثا وطنيا بارزا ، ليس فقط بالنسبة للجمعية ، و لا بالنسبة لكل فرد من العلماء الذين أسهموا في تأسيسها أو الذين انضموا إلى نشاطها لخدمة الوطن ، و لكنه حدث بارز في سلم مقاومة الشعب الجزائري ضد الاحتلال الاستيطاني الفرنسي .

لقد جاء نشوء الجمعية بعد حدث أليم في تاريخ الجزائر و هو : احتفالات القرن ؛ احتفالات فرنسا بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر (1830 / 1930) . و من هنا يمكن القول بأنه لو لم يكن لنشوء تلك الجمعية من فضل إلا ذلك التوقيت ، و لو لم يكن لها معنى إلا الإسهام في رد فعل الشعب الجزائري على تلك الاحتفالات لكفاها ذلك تقديرا في سلم الاحداث المهمة من تاريخ الشعب الجزائري .

و قيمة النص الذي نتحدث عنه تكمن في أنه خلد لنا و

للأجيال من بعدنا ذلك الحدث العظيم في تاريخ الجمعية و في تاريخ المقاومة الثقافية و الفكرية للشعب الجزائري من أجل الحفاظ على مقوماته الاساسية من (لغة و دين و تاريخ و انتماء حضاري) في وقت كان الاستعمار الفرنسي قد قطع أشواطا - خلال قرن كامل - في سبيل تحطيم تلك المقومات ، إما بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة ، عن طريق إهمال شؤون الشعب الجزائري و الاكتفاء باستنزاف ثرواته الاقتصادية و البشرية من خلال المستوطنين الاوروبيين .

كما خلد لنا هذا النص - من خلال وصفه لتلك الجلسة - عدد(6) علماء الجزائر الذين حضروا تلك الجلسة ، و أسماء بعضهم ممن اختارهم زملاؤهم لرئاسة الجلسات أو لتسييرها ، و أسماء الذين اقترحهم المجتمعون من أجل الرئاسة و التسيير الدائم لأعمال الجمعية من رئيس و نواب و أمناء و أعضاء ، بل إن هذا النص خلد لنا (أسلوب العمل) لتلك الجمعية منذ تأسيسها ؛ فنحن نقرأ في هذا النص تحديد مواقيت الجلسات و أسماء الذين يتولون تسييرها و كذلك المدة الزمنية لكل جلسة .

و لكن ما هي القضية التي تعنينا في هذا النص في عملنا هذا ؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد أولا من الإشارة إلى بديهية مهمة و هي أن تراث الشيخ الإبراهيمي يعد في الصميم من تراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و لكن مع ذلك يبقى لهذه الحقيقة مجال حديث أوسع و سياق آخر . أما في معرض حديثنا هذا فالذي كان يقتضيه (منهج البحث) في العمل العلمي الاكاديمي الذي عثرنا من خلال انجازه على النصوص التي تشكل (مادة) عملنا هذا هو : إلى أي مدى يعد هذا النص من التراث الخاص بالشيخ الإبراهيمي ، أو أنه من التراث الذي يشترك فيه

مع أعضاء من جمعية العلماء ؟ ثم ما هي صفة أو نسبة ذلك الاشتراك ؟

الواقع أن الذي جعلنا نطرح هذا السؤال ، هو أولا : أننا كنا نبحث من خلال رسالة جامعية عن تراث البشير الإبراهيمي لا عن تراث غيره ، و هذا جانب منهجي علمي بحت ، و ثانيا : أننا وجدناه - أي الإبراهيمي - في الغالب الأعم يوقّع انتاجه الخاص باسمه و لا ينيب نفسه عن أحد ، و لكن في النصوص التي نحن بصددها نجده ينيب نفسه عن الجمعية أو مجلسها الإداري ؛ فنهاية هذا النص مثلا ، كالتالي :" عن جمعية العلماء المسلمين نائب الرئيس ؛ محمد البشير الإبراهيمي " . و هذا خلافا لنصوص الإبراهيمي الأخرى التي تحمل اسمه مجردا عن أية إنابة عن الآخرين - و إنما هي تعبير عن فكره الخاص ، و عن موقفه الخاص ، و عن انعكاس أحداث الحياة و المجتمع عن ذلك الفكر ؛ بغض النظر عن التوجه و الاعتقاد و الانتماء - هذا هو الدافع إلى التفكير في أن هناك فرقا بين ما هو إنتاج خالص للشيخ الإبراهيمي - فكرا و موقفا و صياغة - و بين ما هو إنتاج مشترك ، أو تعبير عن عمل مشترك ، أو موقف مشترك بين الإبراهيمي و بين أعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؛ بغض النظر عن الكاتب الذي يكون قد صاغ الأفكار أو وصف مجريات العمل في تلك (الجلسة التمهيدية) أو في غيرها من جلسات و مواقف أخرى للجمعية ، و بغض النظر كذلك عمن يكون قد وقّعها نيابة عن الجمعية ؛ سواء الإبراهيمي أو ابن باديس .

حقا ، إن نهاية هذا النص كانت - كما سبقت الإشارة - تحمل اسم الإبراهيمي ، و هذا يدعونا من جانب إلى نسبته إليه ، ولكن من جانب آخر فإن هناك ما يدعو الباحث المدقق إلى بعض

التردد في هذه النسبة ؛ فعبارة (عن جمعية العلماء المسلمين) قد تعني مجرد التصديق الإداري عن تقرير يصف (الجلسة التمهيدية) من حيث إن الإبراهيمي نائب لرئيس الجمعية . و هناك شيء آخر ، و هو أن الاسلوب التقريري الذي كتب به هذا النص لا يرقى إلى الصياغة الفنية العالية التي عهدناها في كتابة الإبراهيمي ، اللهم إلا إذا قلنا بأن الزمن - سنة 1931 - متقدم نسبيا فيما يتعلق بتفتق عبقرية الكتابة الفنية عند الإبراهيمي أو أن طبيعة موضوع هذا النص هي التي فرضت هذا الاسلوب الوصفي التقريري ؟؟ و إذا تجاوزنا الاحترازين السابقين ، فإنه من الأرجح أن يكون هذا النص من صياغة الشيخ الإبراهيمي - لأن اسمه وارد في نهاية النص - أو على الاقل ، هو الذي (لخص) ، من خلال هذا النص ، أفكار جمعية العلماء في جلستها الاولى ، بل إنه خلد تلك الافكار ، و خلد المجريات الحضارية و السلوكات الراقية للعلماء الحاضرين في تلك الجلسات ؛ و من صفتي (التلخيص و الوصف) تأتي صفة (الاشتراك) .

و شيء آخر كذلك نجده في هذا النص ، و هو احتواؤه على (خلاصة) لخطاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية الذي القاه في تلك المناسبة ، و من هنا فإن صفة الاشتراك في هذا النص تأتي: من زاوية حمله لأفكار علماء الجمعية و سلوكاتهم في اجتماعهم الأول ، و من زاوية حمله (خلاصة) لخطاب الشيخ ابن باديس ، و من زاوية صياغته بقلم الإبراهيمي .

و لقد أعاد الاستاذ محمد الطاهر فضلاء نشر هذا النص في ملحق كتابه :" التحريف و الزييف في كتاب : حياة كفاح) . ص : 393 ؛ بعد أن كان النص أصلا منشورا لأول مرة في مجلة الشهاب (المجلد السابع ، الجزء الخامس . غرة محرم 1350 ، (ماي) 1931 ؛

ص 341 لكن الأستاذ فضلاء لم يعلق على مدى نسبة هذا النص للإبراهيمي، ذلك بالنظر إلى عبارة: (عن جمعية العلماء المسلمين في آخر النص)، و هي الزاوية التي نحن بصددها ها هنا.

2. 2 - النص الثاني :

" القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين " (7)

يمكن أن نقول منذ البداية إن القاسم المشترك بين الأراء التي حاولت أن تنسب هذا النص إلى كاتب معين : هو أنه من تراث جمعية العلماء ، و أنه تعبير عن فكرها في مجال علاقاتها بالآخرين من حولها ، و تعبير عن توجهاتها في العمل من حيث كانت تطمح إلى تحقيق أهداف معينة . و يمكن أيضا أن نصف الشكل الإجمالي لهذا النص بقولنا : إنه يتألف من ثلاثة و عشرين فصلا ، كما يمكن أن نصف محتواه بأنه يتحدث عن طبيعة الجمعية ، كما يتحدث عن مصادر تمويلها ، و عن نظام تسييرها ، وعن مقرها الأساسي و فروعها ، و وسائلها في العمل ، و منهجها في التسيير .

و لكن من هو كاتب هذا النص ؟ أو من هو واضعه ؟ أو من هو صاحبه ؟

2.2.1 - عندما يريد الباحث أن يدقق في هذا النص فيبحث عن كاتبه بحيث ينسب إليه وحده كما تنسب الأعمال أو الكتابات الفكرية و الأدبية إلى إنسان معين فإنه يجد بعض الإشكال ؛ لأن هنالك أكثر من مصدر قد نسب هذا النص إلى أكثر من عالم أو كاتب .

2.2.2 - فمن تحدث الشيخ أحمد توفيق المدني ضمن جماعة نادي الترقي - في توجيه الدعوات إلى علماء الجزائر من

أجل عقد (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فإنه نسب إلى نفسه (وضع القانون الاساسي للجمعية) بعد أن كلفه رفاقه في نادي الترقي بذلك العمل فقال :" كلفني الجماعة بإيجاد قانون أساسي بسيط للجمعية أعرضه عليهم بعد أيام لكي نكتب منه نسخا توزع على المدعوين ... أما أنا فقد اعتكفت في مكتبي ثلاثة أيام سطرت فيها للجمعية قانونها الأساسي بما لا يخرج عن نطاق القوانين المعروفة الأخرى " (8) . فهل نعد (القانون الأساسي لجمعية العلماء) - وفقا لهذه الفقرة - من تأليف الشيخ أحمد توفيق المدني ؟

2.2.3 - و في مقابل هذا فقد قرأنا في النص الذي يصف مجريات " الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين " (9) - و الذي وقعه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بعبارة " عن جمعية العلماء المسلمين " (10) - ما يلي : " كان اجتماعهم (أي العلماء) بصفة جمعية عمومية لوضع القانون الأساسي للجمعية ، و عينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ أبا يعلى الزواوي ، و للكتابة الأستاذ محمد الأمين العمودي ، و وضع القانون ، و تلاه كاتب الجلسة على رؤوس الأشهاد، فأقرته الجلسة العمومية بالإجماع و انفضت الجلسة" (11)

و الذي نفهمه من منطوق هذه الفقرة أن (القانون الأساسي) للجمعية قد وضع في جلسة عمومية ، و معنى ذلك أن مواده يمكن أن تكون تجميعا من أفكار الحاضرين في تلك الجلسة ، و أن الصياغة يقوم بها كاتب الجلسة أو على الأقل يسجل منطوق أفكار الحاضرين بألفاظها و معانيها أو بمعانيها و الفاظه ؛ فهو إذن (نص مشترك بين مجموع الأعضاء) .

2.2.4 - و عندما استعان الاستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله ببعض المواد من (القانون الأساسي للجمعية) قصد

بيان (اتجاه مباديء الجمعية) - اعتمد على كراسة تشتمل على نصين و تحمل اسم الشيخ عبد الحميد بن باديس (12) . و الملاحظ أن النص الثاني في تلك الكراسة الذي يحمل عنوان :(دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها) هو للشيخ ابن باديس ، بحكم وجوده ضمن آثاره التي جمعها الدكتور عمار الطالبي و صنفها و أخرجها في أربعة مجلدات (13) . أما النص الأول و الذي هو (القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فلم نعثر عليه ضمن آثار الشيخ ابن باديس ، اللهم إلا إذا اعتمدنا الكراسة السالفة الذكر التي اعتمدها الدكتور سعد الله ، و في هذه الحالةنقول بأنه لا يستبعد أن يكون ابن باديس قد وضع صيغة من صيغ نص (القانون الأساسي للجمعية) الذي نتحدث عنه في هذا العمل .

2.2.5 - و في نص مهم من نصوص الشيخ الإبراهيمي بعنوان (أنا) نجده يقول حول هذه القضية : - قضية (من وضع نص القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؟) : - "فأعلنا تأسيس الجمعية في مايو 1931 بعد أن أحضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا (من وضعي) ، أدرته على قواعد من العلم و الدين لا تثير شكا و لا تخيف ، و كانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم ، و تعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة فخيبنا ظنها و الحمد لله " (14) .

فالشيخ الإبراهيمي وفقا لهذه الفقرة قد نسب إلى نفسه أيضا وضع (قانون أساسي للجمعية) . و لكن هل الشيخ الإبراهيمي يتحدث في هذه الفقرة عن (نص) القانون الأساسي الذي وجدنا الحديث عنه في المواقع السابقة ؟ و بالتالي فإن هناك تنازعا بين أكثر من عالم في نسبة وضع هذا النص إلى نفسه (15)

- أم أن هنالك أكثر من مرحلة مر بها وضع هذا النص ؟ و بالتالي أكثر من كاتب ؟ و أكثر من صيغة ؟

و من المحتمل ، وفقا لطبيعة هذا النص أن تكون هناك عدة مشاريع قد وضعها أكثر من عالم ، و ذلك قبل الجلسة التي خصصت لوضع مواد (القانون الأساسي و الهدف من ذلك هو وضع نص مقبول من طرف - مجموع الأعضاء في الجمعية ، و مقبول من طرف - و هذا هو الأهم في ذلك الوقت - السلطات الإدراية التي ستنظر ، قبولا أو رفضا في ذلك النص .

و لعل هذا هو السبب الذي جعل بعض علماء الجمعية ينسب وضع القانون الأساسي للجمعية (إلى نفسه) حال تأسيسها سنة 1931 . و مهما يكن من أمر فإن هذا النص يعد - في تقديري - جهدا مشتركا بين أعضاء الجمعية و من بينهم الشيخ الإبراهيمي.

2.3 - النص الثالث :

" كلمة من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين إلى كتاب البصائر الكرام " (16).

و هذا نص آخر من النصوص التي شكلت اهتمامنا في هذا العمل ، و التي كتبها الشيخ الإبراهيمي أو صاغها (نيابة) عن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و بالتالي يمكن أن نعد (محتواه) تعبيرا مشتركا عن رأي المجلس الإدراي للجمعية في كيفيات الكتابة لجريدة البصائر ؛ أو في الأسلوب أو في السياسة التي لا تؤذي الصحيفة أو (الجمعية) بوجه عام .

لقد كتب الإبراهيمي هذا المقال بمناسبة صدور (صحيفة البصائر) التي جاءت بعد مرور فترة طويلة من تعطيل الإدارة الفرنسية لصحف الجمعية الأولى التي أصدرتها منذ

تـــأسيسها1931 إلـــى سنة 1935 ، و هـــي صـحف : (السنة) و(الشريعة) و (الصرا ط) .

و هذا المقال كما يدل عليه اسمه هو توجيه من (المجلس الإداري لجمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين) للكتاب و الأنصار والتلاميذ الذين سيكتبون في تلك الصحيفة الجديدة - صحيفة البصائر - في فترتها الأولى ما بين (1935 / 1939) .

إن فكرة (الاشتراك) التي نعنيها في هذا النص تنصب على السياسة العامة التي كان المجلس الإداري يريد لصحيفة البصائر أن لا تخرج عنها . أما صياغة أفكار تلك السياسة فهي بقلم الشيخ الإبراهيمي .

والملاحظة حول (هذا النص) هو أن القائمين على جمع مادة الجزء الاول من آثار الإبراهيمي ونشرها لم يدرجوه ضمن ذلك الجزء في طبعته الأولى(17) - مع أن النص منشور في البصائر سنة 1936 - ضمن الفترة الزمنية التي خصصوا لها الجزء الاول، فهل نعد ذلك الإغفال لهذا النص تدعيما لفكرتنا حول ما نعده (من الأعمال أو المواقف المشتركة) لأعضاء الجمعية وليس من الأعمال الخاصة بهذا العالم أو ذاك ؟ مع التأكيد دائما أن العناية بهذه الأعمال والمواقف تعد عناية اضافية بجهود الجمعية في آثارها الكلية فضلا عن العناية الخاصة بآثار هذا العلم أو ذاك من أعلامها وكتابها جميعا .

2.4 -النص الرابع :

"خلاصة تفسير المعوذتين من د رس
الاستاد الشيخ عبد الحميد بن باديس
الذي ختم به تفسير القرآن "(18)

كان آخر درس من دروس ابن باديس في تفسير القرآن

الكريم هو درس تفسير المعوذتين، وقد كان ذلك الدرس في الوقت نفسه هو (فاتحة) احتفال الشعب الجزائري بتلك المناسبة .

ولما كان الاستاذ المفسر قد القى درسه ارتجالا فإن الاستاذ محمد البشير الابراهيمي الذي كان رئيس لجنة الاحتفال بختم تفسير القرآن الكريم قد لخص ذلك الدرس بقلمه وقدم له بمقدمة سماها (بين يدي التلخيص) تم نشر المقدمة والتلخيص جميعا في عدد مجلة الشهاب (المجلد 14 الجزء 4) الذي خصص للتاريخ لتلك المناسبة.

ولكن السؤال الذي نطرحه هنا فيما يتعلق بهذا العمل هو مدى امكانية نسبة (النص) : تلخيص الابراهيمي لذلك الدرس وصياغته من جديد ثم كتابة مقدمة لذلك التلخيص - هو مدى إمكانية نسبته - للإبراهيمي أم لابن باديس ؟ و للإجابة عن هذا السؤال نقول :

إن الأستاذ الدكتور عمار طالبي قد وضع كلا من التلخيص و التقديم ضمن آثار ابن باديس أي أنه نسب كل شيء لابن باديس ، و لم يشر (مجرد إشارة) إلى الإبراهيمي . و على الرغم من أن هنالك (هامشا أصليا) في عدد مجلة الشهاب المذكورة أعلاه يدل على أن الإبراهيمي هو الذي قام بتلخيص الدرس ، فإن ذلك الهامش لم يظهر في آثار ابن باديس التي جمعها الدكتور عمار طالبي (19) . و في تقديري أن ذلك الهامش يوضح جهد الشيخ الإبراهيمي في صياغة نص درس " تفسير المعوذتين " الذي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد ألقاه ارجالا .

و الحق - في تقديري - أن (نص) التقديم لخلاصة درس المعوذتين الذي يحمل عنوان : - كلمة بين يدي التلخيص - هو للإبراهيمي معنى و صياغة ، و أن (نص) تلخيص الدرس هو "

عمل مشترك بين الأستاذين الجليلين " ؛ قام ابن باديس بالدرس مشافهة ، و نقله إلينا الإبراهيمي كتابة . و لعله من الأفضل أن نستدل هنا بما كتبه البشير الإبراهيمي نفسه في هذه القضية إذ يقول :" و لما كان اليوم المشهود بختم هذه الدروس ، جمع أحد الحاضرين - الإبراهيمي نفسه - ما وعته ذاكرته و أمكنه تقييده(20) من معنى درس الختم في تفسير المعوذتين ، و تصرف في ألفاظه بما لا يخرج عن معانيه ، إذ لم يكن من الميسور أن يلتقط الألفاظ كلها ، فجاء بهذه الخلاصة التي ننشرها على الناس في هذا العدد الخاص بالاحتفال ، لا فتين أنظارهم إلى أن هذه الخلاصة محيطة بمعاني الدرس مع تصرف ضروري اقتضته مساوقة ما كتب لما قيل " (21) .

و يقول الشيخ الإبراهيمي أيضا عند نهاية تلخيص الدرس : " انتهى تلخيص الدرس ، و قد حرصنا على ما وعته الذاكرة من معانيه و قيده القلم من ألفاظه ، ثم تصرفنا في المواضيع التي طرقها الاستاذ بما لا يخرج عن مراده و لا يخالف طريقته في تفسير كلام الله ، و الله ينفعنا بالقرآن و يوفقنا إلى خدمته"(22)

و يؤكد لنا الشيخ الإبراهيمي قيمة اشتراكه في ذلك العمل عندما يقول :" و لما احتفلت الأمة الجزائرية ذلك الاحتفال الحافل بختمه (أي ختم ابن باديس) لتفسير القرآن عام 1357 هـ . و كتبت بقلمي تفسير المعوذتين مقتبسا من درس الختم ، و أخرجته في ذلك الأسلوب الذي قرأه الناس في مجلة (الشهاب) و أعجب به ابن باديس أيما إعجاب ، و تجدد أمله في أن نتعاون على كتابة تفسير كامل (23) ، و لكن العوارض باعدت بين الأمل و العمل سنتين ، ثم جاء الموت فباعد بيني و بينه ثم ألحت الحوادث والأعمال بعده فلم تبق للقلم فرصة للتحرير و لا للسان في

التفسير و إلا لله " (24) .

و على هذا ، فإنه إذا كان من الواضح أن (نص) مقدمة التلخيص - كلمة بين يدي التلخيص - هو للشيخ الإبراهيمي ، فإننا يمكن أن نقول إن (نص) : (خلاصة تفسير المعوذتين) هو عمل مشترك بين الأستاذين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي ؛ فالأول قد ألقاه شفاهة ، و الثاني قد لخصه و سجله كتابة . و هذه هي الزاوية التي جعلنا من أجلها نص (خلاصة تفسير المعوذتين) عمل مشترك - ضمن النصوص المشتركة أو الجهود المشتركة بين الإبراهيمي و بين علماء الجمعية عموما - وبين الإبراهيمي و بين ابن باديس على وجه الخصوص .

2.5 - النص الخامس :

" كلمة المحتفل به " (25)

(بفتح التاء و الفاء)

و هذا النص أيضا من النصوص التي نعتقد أنها تدخل ضمن إطار هذا العمل .

و لكن - لماذا تعد كلمة الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس التي ختم بها حفلة تكريمه بمناسبة ختمه للقرآن الكريم مدارسة - لماذا تعد هذه الكلمة من النصوص المشتركة ؟

الواقع أن هذه الكلمة مثل (خلاصة تفيسر المعوذتين) هي أثر مشترك بين الشيخين الرئيسين : ابن باديس و الإبراهيمي ؛ الأول أسهم بفكره و الثاني بقلمه ، فلولا الأول ما كتبها الثاني ، و لولا الثاني ربما لم تصل إلينا . إن الإمام ابن باديس خطيب و مدرس أكثر منه كاتب ؛ فالكتابة عند الشيخ الإبراهيمي أسهل منها عند الشيخ ابن باديس (26) .

و لقد شجعنا على هذا الزعم أيضا ما كتبه الإبراهيمي حول (هذه الكلمة) إذ قال :" و بعد خطبة الرئيس - رئيس احتفال ختم القرآن - و هو الشيخ الإبراهيمي نفسه - قام الاستاذ المحتفل به وارتجل خطبة ضافية نستعيض عن وصفها ها هنا بتلخيص معانيها و نشرها مع الخطب " (27) . فالشيخ الإبراهيمي إذن هو الذي لخص تلك الخطبة - كلمة المحتفل به - و قدمها للنشر . و قال الإبراهيمي في موقف آخر مشيرا كذلك إلى هذه الخطبة :" و قد حافظنا ما استطعنا على معاني تلك الكلمة ؛ إذ فاتنا أن ننقل ألفاظها " (28) . و معنى هذا أن الألفاظ للإبراهيمي و المعاني لابن باديس .

و لعل في الإشارتين السابقتين ما يشفع لنا بأن نعد هذه الخطبة (أثرا مشتركا) بين الرجلين . و ما أروع أن يجتمع الرئيسان في أثر واحد ؛ ابن باديس بفكره و الإبراهيمي بقلمه .

2.6 - النص السادس :"

منشور إلى الامتين :

الإسلامية و الفرنسية " (29) .

لقد حاربت الإدارة الاستعمارية الفرنسية اللغة العربية منذ سيطرتها على الجزائر . و في الثلاثينيات - بعد احتفالات القرن (1930) - و بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من (ماي) سنة (1931) ردا على تلك الاحتفالات - تصاعدت حرب فرنسا على اللغة العربية - و على مقومات الجزائر الأخرى - فقد اصدرت وزارة الداخلية الفرنسية في عهد الوزير (شوطان) قرارا في (8 مارس 1938) يمنع من يعلم اللغة العربية في الجزائر و هو لا يملك رخصة ، و في الوقت

نفسه فإن تلك الإدارة لا تمنح الرخص لطالبيها .

"و الواقع أن اللغة العربية اعتبرت منذ دخول الاحتلال إلى الجزائر - لغة أجنبية بدليل عدم استعمالها في التعليم الابتدائي و طردها من الإدارة الحكومية طردا كليا . و قد جاء قرار 8 مارس 1938 ليؤكد واقعا قائما من الناحية العملية منذ وقت طويل ليس إلا " (30) .

و قد تصدت جمعية العلماء لذلك القرار بعدة طرق مثل الاحتجاجات و الشكاوى و كتابة المقالات و عقد الاجتماعات للنظر في كيفيات مواجهة ذلك القرار ، لخطورته على اللغة العربية و على الدين الإسلامي في الجزائر. و في هذا السياق جاء نص المنشور الذي نحن بصدده و الذي صدر عن اجتماع دعا إليه الرئيس ابن باديس جمع فيه أعضاء إدارة الجمعية و أعضاء شعبها فوجهت الدعوة إلى 180 عضوا موزعين على جهات الوطن الجزائري و ذلك للمشاركة مع مجلس الإدارة في إبداء ما يتخذ من الجهود لحماية الإسلام و لغة الإسلام من سلاح الإدارة الاستعمارية المتمثل في قانون 8 مارس لسنة 1938 م .

و كان ميعاد هذا الاجتماع يوم الإثنين الخامس من شهر صفر 1358 هـ الموافق للسابع و العشرين من شهر مارس 1939 م " (31) .

و لقد أبدى كل بما يراه في هذه القضية و بما يجب عمله ، و قام فضيلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب الرئيس فتلا على الحاضرين منشورا ليوجهه باللسانين العربي و الفرنسي و إلى الأمتين العربية و الفرنسية فأقره الحاضرون بإجماع (32) .

و نظرا إلى أن هذا النص جاء نتيجة اجتماع عمومي بين أعضاء الجمعية ، ونظر إلى أن محتواه يكون تداوليا بين أفكار

أولئك العلماء ، و نظرا إلى عنوان النص ذاته فإني قد رأيت أن هذا النص يمكن أن يعد (نصا مشتركا) بين الشيخ الإبراهيمي و بين أعضاء الجمعية الحاضرين في الاجتماع من حيث المضمون و الهدف لا من حيث الصياغة .

إن هذا النص شأنه شأن النص الثالث في هذا العمل ؛ كان يفترض أن يوجد ضمن الجزء الأول من آثار الشيخ الإبراهيمي ، لكن ذلك لم يحصل ؛ فهل رأت اللجنة التي أشرفت على جمع مادة ذلك الجزء أن هذا النص ليس من الأعمال الخاصة بالشيخ الإبراهيمي وحده ، و بالتالي فهو من الأعمال الخاصة بالجمعية كلها ؟ فإن كان الأمر كذلك فهو مانعنيه هنا بالأعمال المشتركة أو النصوص المشتركة أو المواقف المشتركة للجمعية بمن فيهم الإبراهيمي بالطبع .

2.7 – النص السابع :

" الشيخ الإبراهيمي يعزي في ابن باديس من خلال رسالة موجهة إلى الشيخ أحمد توفيق المدني " (33) .

2.7.1 – تمهيد

الحق أنني ما كنت لأضع النص ضمن هذه المجموعة من النصوص ، لولا حرصي على جمع أي نص من آثار الإبراهيمي وإخراجه إلى القراء على أوسع نطاق ؛ فالنص عبارة عن رسالة كتبها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كان منفيا في (أفلو) – ولاية الأغواط حاليا – كتبها إلى الشيخ أحمد توفيق المدني يعزيه من خلالها في الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ؛ و لأنني كنت قد جمعت آثار الشيخ الإبراهيمي حتى سنة (1939) (34) .

و لأن آثار الشيخ الإبراهيمي في أثناء الحرب العالمية الثانية - أي بعد سنة 1939 - قد جمعت ضمن آثاره في الجزء الأول ، و لأن الرسالة التي نتحدث عنها كتبها الشيخ الإبراهيمي في أثناء الحرب العالمية الثانية ، لكنها لم تجمع ضمن الجزء الأول : لذلك رأيت أن أضمها إلى النصوص التي بين أيدينا لكي لا تبقى ضائعة أو معزولة عن أخواتها من نصوص الإبراهيمي،ولأني أردت أن أبقي على السياق الذي وردت فيه رسالة الشيخ الإبراهيمي فأوردتها ضمن المناسبة التي أوردها فيها الشيخ أحمد توفيق المدني ؛ و من هنا جاءت صفة الاشتراك في هذا (النص) بين الشيخين : محمد البشير الإبراهيمي و أحمد توفيق المدني ؛ فالاشتراك هنا في (الموقف) و في (السياق) - إن صح هذا التعبير - و ليس في نسبة الرسالة إلى الإبراهيمي أو في الصياغة . أما السياق الذي أتحدث عنه فقد أورده الشيخ أحمد توفيق المدني على النحو التالي :

2.7.2 - جمعية العلماء و الشيخ الإبراهيمي في أثناء الحرب العالمية الثانية .

يقول الشيخ أحمد توفيق المدني : (35)

" أما جمعية العلماء ، و قد كانت تحت أحكام الحرب القاسية هامدة ، و قد قررت - كما أسلفت (36) - السكوت التام. فلا كلمة ، و لا همس ، و كان رجالها مضطلعين لمسؤولياتهم ، قائمين - و الحق يقال - بواجباتهم في المدارس و في المساجد ، و كان الإبراهيمي العظيم العملاق قد أخذته السلطة الفرنسية عند بداية الحرب من تلمسان الزاهرة ، و ألقت به منفيا طريدا في (أفلو) الصحراوية النائية فذاق فيها العذاب الأليم .

و حلت الكارثة العظمى بموت ابن باديس ، و اجتمع من استطاع من العلماء بقسنطينة في موكب جنازة ، كان بالنسبة لظروف الحرب ، حافلا رهيبا ، و اتفق الجميع على أن يكون نائب الرئيس البشير الإبراهيمي رئيسا للجمعية ، يباشر عمله عندما يطلق سراحه ، و يكون له المركز الرئيسي منذ الساعة ، و تفاء لنا من ذلك خيرا ، و قلنا إنه نعم الخلف لخير السلف. و تمثلنا بقول السموأل:

إن مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول .

2.7.3 - و لم تمض على ذلك عشرة أيام حتى جاءتني من الإبراهيمي الكبير الرسالة التالية :" الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني ، حفظه الله .

أخي :

أعتقد أن الراحل - أخي العزيز - لم يكن لأحد دون أحد ، بل كان كالشمس لجميع الناس . و اعتقد أن فقده لا يحزن قريبا دون بعيد ، و أن أوفر الناس حظا من الأسى لهذا الخطب هم أعرف الناس بقيمة الفقيد ، و بقيمة الخسارة بفقده للعلم و الإسلام ، لا للجزائر وحدها ، فلهذا بعثت أعزيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض ، بعد أن فاض ، ببقاء آثاره في الحياض ، و أنهاره في الرياض ، كما يعزى عن مغيب الشمس بشفقها ، و عن ذبول غضارة الشباب ببقاء رونقها ، و إن كانت التعازي تعاليل ، لا تطفيء الغليل ، و لكنها على كل حال تحمل بعض الروح من كبد تتلظى شجنا إلى كبد تتنزى حزنا .

وظني في أخي أنه لو كان يعرف عنواني لكان أول معز لأول معزى .

واحستراه . رحم الله الراحل العزيز ، جزاء ما بث من علم ،

و زرع من خير ، و ثقف من نفوس ، و لله ذلك اللسان الجريء ، و ذلك الجنان المشع ، و ذلك الرأي الملهم . و إنا لفقدك يا عبد الحميد لمحزونون .

أخوكم الحزين الإبراهيمي . "

و شاء ربك أن تنفرج الأمور بعد حين ، و أفرج عن الإبراهيمي و باشر سلطته في رئاسة العلماء ، فكان الرئيس ، وكان المعلم ، و كان الصحفي ، و كان الكاتب ، و كان الباني ، و كان المبشر ، و كان و الله كل شيء ، و ما رأت جمعية من الجمعيات رئيسا كالبشير الإبراهيمي ... " (37) .

8 .2 – النص الثامن : " التقرير " (38) .

(تقرير سنة 1944 حول : المساجد ، و التعليم العربي ، و القضاء) .

هو نص التقرير الذي قدمه مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – المنعقد في 5 أوت 1944 م ، أواسط رمضان 1363 هـ – إلى الحكومة الاستعمارية في الجزائر آنذاك ، و قد تضمن مطالب الجمعية في مسائل : المساجد ، و التعليم العربي ، والقضاء ؛ أي أنه يحمل خلاصة أفكار الجمعية في القضايا المطروحة آنذاك ، و التي تهم الشعب الجزائري . و النص في مجموعه إدانة للإدارة الاستعمارية في الجزائر ، و تعبير عن سخط الشعب الجزائري و احتجاجه ضد المعاملات التي كانت تعامل بها تلك الإدارة قضاياه الدينية و الثقافية عموما ، فضلا عن قضاياه المصيرية الأخرى مثل التسيير و الانتخابات و النيابة و التمثيل في البلديات و غيرها .

و لقد جعلنا هذا النص مع النصوص التي تشكل مادة هذا

العمل – نصوص مشتركة – على الرغم من أنه أعيد نشره ضمن الجزء الأول من آثار الشيخ الإبراهيمي (39) – و ذلك لسببين " السبب الأول : أنه تقرير تداولي جماعي مطلبي من أعضاء المجلس الإداري برئاسة الشيخ الإبراهيمي . و السبب الثاني : هو أن الشيخ الإبراهيمي قد أمضاه بعبارة : " عن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين : الرئيس محمد البشير الإبراهيمي"(40) . و هذا معناه أن الشيخ الإبراهيمي أراد – فيما أعتقد– بهذه العبارة أن يكون محتوى هذا النص تعبيرا صادرا عن المجلس الإداري للجمعية و ليس تعبيرا عن الرئيس وحده .

أما الصياغة أو الكتابة فقد تكون للشيخ الإبراهيمي ، كما قد تكون للجنة من إدارة الجمعية هو موافق على صياغتها للمحتوى . و من هنا كانت فكرتنا بأن هذا النص يمكن أن يعد ضمن الجهود الفكرية المشتركة بين الشيخ الإبراهيمي و بين أعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؛ فصفة الاشتراك في هذا النص تتجه إلى الفلسفة العامة المتوخاة من محتوى التقرير أو القصد الفكري المنشود للجمعية بغض النظر عن الصياغة أو الكتابة .

2. 9 – النص التاسع :

" ذكرى بدر بمركز جمعية العلماء " (41)

(ملخص : محمد الغسيري) .

وقفنا في بعض من هذا العمل عند بعض النصوص التي كان الشيخ الإبراهيمي قد لخصها أو نقل بعبارته محتوياتها ، و هي في الأصل من الدروس أو الخطب التي كان قد ارتجلها الشيخ ابن باديس ، و حسبناها من الأعمال المشتركة بين العالمين

الكبيرين لوجود جهد قام به كل منها في جانب من جوانب تلك النصوص .

و سنقف ها هنا للإشارة إلى بعض النصوص التي هي في الأصل من خطب الشيخ الإبراهيمي أو دروسه التي كان قد ارتجلها في مناسبات علمية أو ثقافية في الفترة التي أصبح فيها رئيسا للجمعية ، و تولى بعض رفاقه أو تلاميذته تلخيصها أو محاولة نقلها إلى القراء بهدف الحفاظ عليها من الضياع ، و ذلك من خلال نشرها في صحيفة البصائر الثانية . ومن هذه الزاوية - زاوية التلخيص و النشر لبعض خطب أو كلمات الابراهيمي المرتجلة - حسبناها أيضا من الجهود المشتركة بين الشيخ الإبراهيمي و بين بعض علماء الجمعية الذين قاموا بتلخيص تلك الأعمال أو محاولة نقلها بألفاظها و معانيها .

و النص الذي نريد الإشارة إليه هنا هو : (تلخيص و اقتباس) لدرس كان الشيخ الإبراهيمي قد ألقاه بمركز جمعية العلماء بالعاصمة في 17 رمضان 1368 هـ و ذلك بمناسبة ذكرى معركة بدر .

و مما قاله الأستاذ محمد الغسيري في تلك المناسبة :" إنه واجب عليّ و قد كتب لي أن أحضر بعض دروسه - دروس الإبراهيمي - الرمضانية بالجزائر و منها الدرس النفيس الذي ألقاه بالمركز يوم 17 رمضان بمناسبة ذكرى بدر لسنة 1368 هـ - أن (أقتبس بعضه) لأقدمه إلى قراء البصائر ليتصوروا جلال هذه الدروس . و ما قدرت أن أنقل إليهم عن معانيه إلا يسيرا ... على أن حاضري الدرس من الكتاب والأدباء يؤخذون بالسماع و يندهشون فلا يكتبون شيئا ، و كانت النتيجة ضياع كنوز من العلم و الحياة لا تقوّم بمال " (42) .

هذا شاهد على أن دروس الشيخ الإبراهيمي التي ارتجلها و التي لم تصل إلينا كثيرة ، و لا شك أنه قد ضاع معها علم كثير ؛ و لهذا السبب رأينا أن العلماء الذين لخصوا لنا بعض ذلك العلم يستحقون التقدير ، من زاوية أنهم اشتركوا ؛ بما لخصوه لنا ، في حفظ الجهد العلمي الذي كان الشيخ الإبراهيمي قد ألقاه إليهم ارتجالا ، و لو لا تلخيصهم لما وصل إلينا درس أو دروس الإبراهيمي ؛ فالاشتراك منصرف إلى هذه الزاوية من الجهد ؛ جهد التلخيص و التقديم و النشر ، و بالتالي (الحفظ من الضياع) .

2.10 - النص العاشر :

" أقطاب الفرقة القومية المصرية
في مركز جمعية العلماء " (43) .
(ملخص بقلم الأستاذ باعزيز بن عمر) .

وهذا النص أيضا من النصوص التي أردنا الإشارة إليها ضمن هذا العمل الذي يتجه إلى محاولة التبيه إلى بعض (الجهود العلمية المشتركة) بين الشيخ الإبراهيمي وبين بعض العلماء من تلامذته وزملائه وأصدقائه في الجمعية .

لقد زار أعضاء مهمون في الفرقة القومية المصرية للمسرح-بتاريخ الأربعاء الرابع عشر (14) فيفري من سنة 1950-زاروا مركز جمعية العلماء بالجزائر العاصمة ، وفي ذلك المركز رحب بهم أعضاء مهمون أيضا من الجمعية ، وألقى الرئيس الإبراهيمي خطابا ارتجاليا حيى من خلاله ضيوف الجزائر وضيوف الجمعية في الوقت نفسه ، ولقد لخص لنا الأستاذ باعزيز بن عمر بعض معاني ما قاله الشيخ الرئيس الإبراهيمي في تحيته لوفد

الفرقة المصرية ، و مما جاء في نص ذلك التلخيص قوله : " فرحب بهم الأستاذ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي ترحيب الروض بالطل ، في مجمع حافل بالأدباء و الشعراء من معلمي المدارس و أنصار جمعية العلماء ، و حي في اشخاصهم الكريمة مصر العالمة الناهضة ... و لقد تسرف الأستاذ الرئيس في معنى التحية ، و جاء بالمرقص و المطرب ، وجال بنا في سماء البلاغة جولة بعيدة إلى أن قال :(أما تحيتنا اليوم للضيوف الكرام - الذين لا أسميهم ضيوفا إلا مجازا - فهي تحية للفن ، و تحية الروح للروح ، تقدمها إليكم هذه النخبة من رجال جمعية العلماء التي تعمل على إكساء هذا الوطن روحا و بدنا ، و إنهم جميعهم ليحيون اليوم مصر فيكم) . و هنا وجه (الرئيس الإبراهيمي) كلمة عتاب إلى مصر قائلا :(إن لنا على مصر حقوقا ، و لها علينا حق واحد ؛ لها علينا الزعامة في الأدب و الفن ، و الإمامة في العلم و المعرفة ، و لنا عليها حق الاخ الصغير ؛ اخذ باليد إلى الرشد ، و تربية تفضي إلى السعادة ، و رعاية شاملة للخير و المصلحة ، و لنا عليها حق الجار ذي القربى حفاظ و حماية و إحسان ؛ فهل قمنا نحن بما علينا من حق؟ و هل قامت مصر بما عليها من حقوق ؟؟ " (44) . فالاشتراك في هذا النص يتجلى من خلال أن باعزيز بن عمر قد لخص لنا بكلماته و تعابيره ما جاء في خطاب الإبراهيمي ، بالاضافة إلى اشتمال التلخيص على فقرات من منطوق الإبراهيمي و هو ما جعل النص مزيجا بين تصوير باعزيز بن عمر للحفل و مجرياته و بين محتوى خطاب الرئيس الإبراهيمي في تلك المناسبة القومية المهمة للجزائر في تلك الأثناء .

2.11 – النص الحادي عشر :

" فتح جامع الحنايا و مدرستها " (45).

(بقلم الاستاذ أحمد بن ذياب)

و من النصوص التي تدخل في إطار ما نتحدث عنه من (اشتراك) كذلك : الخطاب الذي ألقاه الشيخ الإبراهيمي بمناسبة افتتاح جامع (قرية الحنايا) و مدرستها سنة 1950 م ؛ فقد حاول الاستاذ أحمد بن ذياب أن ينقل إلينا النص نقلا أمينا مستعينا بزميلين آخرين ، و مع ذلك فقد اعترف بصعوبة أن يأتي النص الذي نقله إلينا كما أراده الشيخ الإبراهيمي بدقة . و لعله من أجل هذا أبقت اللجنة القائمة على جمع تراث الشيخ الإبراهيمي على اسم الأستاذ أحمد بن ذياب – كما أبقت على اسمي : محمد الغسيري و با عزيز بن عمر في النصين السابقين – التاسع و العاشر من هذا العمل – حين جمعت تلك اللجنة هذه النصوص ضمن آثار الشيخ الإبراهيمي (46) .

يقول الأستاذ أحمد بن ذياب عند تقديمه لهذا النص :" أقدم هذه الكلمة بين يدي محاولة أرجو أن أوفق فيها إلى تقديم (شبه صورة) للخطاب الجامع الذي ألقاه الأستاذ الرئيس الإبراهيمي غداة افتتاح مسجد قرية الحنايا و مدرستها ، و إني حين أمل متابعة الأستاذ في (اختصار أو اختزال) ما يلقي – لواجد عنتا كبيرا ؛ فقد شكا الشاكون قبلي ممن حاول قبلي ما حاولت – إنهم يؤخذون بروعة المسموع عن مواصلة الكتابة لأن معانيه كلها أبكار ، و مواعظه كلها حكم نفيسة ، و حكمه كلها غوال ، و أطرافه – إن كان لكلامه أطراف – كلها طرائف ناضرة . و لقد اعتمدت في هذه المحاولة على ما سجله الشيخان : عبد الوهاب بن منصور و عبد الرحمن غريب مضافا إلى ما سجله قلمي الضعيف الواني ، فإن

قاربت الإصابة فالفضل لهما ، و إن قصرت فالوزر عليّ وحدي"(47) .

و لعل هذا مما يؤكد الفكرة التي أردتها في هذا العمل و هي أن هذه النصوص أقرب إلى أن تكون (جهودا فكرية مشتركة) منها أن تنسب إلى هذا العالم أو ذلك . و يبقى أن حظ الإبراهيمي فيها . يبدو أوفر من غيره ؛ فقد كان قطب الرحى في معظمها ، إن لم نقل فيها جميعا .

3 - خاتمة :

و بعد ، فإنه مهما يكن من أمر نسبة هذه النصوص إلى الشيخ الإبراهيمي أو إلى غيره من العلماء ، فإنها تعد جميعا من الآثار الفكرية و الأدبية لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . و لكن الباحث المدقق الذي يضع لنفسه أو لبحثه منهجا و حدودا في دراسة الإنتاج الفكري أو الأدبي لكاتب أو لعالم معين يجد نفسه مرغما - وفقا للحقيقة العلمية أو التاريخية - على وضع الحدود و الفواصل ، و بيان السمات و الخصوصيات التي يتميز بها هذا الكاتب أو هذا العالم من علماء الجمعية في إنتاجه ، على الرغم من أنهم اجتهدوا جميعا و بذلوا الجهد لخدمة هذه الأمة و حفظ تراثها ، في وقت كانت الأمة و كان الوطن الجزائري في أمس الحاجة إلى جهدهم مجتمعين و متفرقين ، فضلا عن جهد غيرهم من أنباء الجزائر . و لعل أهم ما يتضح من خلال (هذه النصوص المشتركة) هو جانب من (منهجية) العمل لدى علماء الجزائر في فترة الثلاثينيات و الأربعينيات ، حيث كان التعاون بينهم هو الوسيلة المثلى للوصول إلى أهدافهم العلمية و الثقافية .. في المجتمع .

إن هذه النصوص التي وجدناها (على هامش) تراث الإبراهيمي الخاص قد فتحت لنا بابا يؤدي إلى العمق في (أصل) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؛ ذلك أن جمع تراث أي عالم من علمائها يدفع بالباحث حتما إلى البحث عن تراث الأعضاء الآخرين ، و أن الحديث عن جهد عنصر من عناصر الجمعية يؤدي كذلك إلى الحديث عن جهود الجمعية كلها . و هكذا ، فإن ما قد يبدو منفردا من آثار عضو من أعضاء هذه الجمعية – من إبداع أو فكر – إنما هو (مشترك) – مع تراث الأعضاء الآخرين – في المنهج و الرؤية والغاية ؛ فالجمعية وجدت لضرورة حضارية ؛ لغوية و دينية ؛ و تاريخية و اجتماعية (وطنية و إنسانية) جميعا .

و بهذه المواصفات يمكن أن نعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رد فعل حضاري و مادي على استعمار طال أمده ، و رد فعل مباشر على احتفالات القرن ؛ احتفالات الإدارة الاستعمارية الفرنسية سنة 1930 بمناسبة مرور قرن على الاستعمار الفرنسي في الجزائر . و إذا كانت احتفالات الاستعمار في الجزائر بتلك المناسبة تحمل (معنى) أن الجزائر – في نظر فرنسا – فقدت هويتها، و أصبحت – بعد قرن من الاحتلال الفرنسي – فرنسية و إلى الأبد، فإن رد فعل الجمعية على ذلك يتجلى سياسيا في شعارها الخالد(الاسلام ديننا، و العربية لغتنا، و الجزائر وطننا) – و يتجلى تنفيذيا في عملها مع الاجيال الجديدة ، من أطفال و شباب ، من أجل تحقيقه في الميدان ، و هذا ما تحقق بالفعل في أثناء ثورة نوفمبر 1954 م.

هوامش و مراجع:

(1)-الخصوصية هنا معناها الآثار التي كتبها الإبراهيمي دون أن يكون فيها معبرا عن موقف مشترك أو عن اجماع مشترك مع أعضاء آخرين من المجلس الإداري لجمعية العلماء .

(2)-أما الشمولية فاعني بها الاهتمام بالآثار الشاملة للشيخ الإبراهيمي على غرار ما قامت به اللجنة التي اشرفت على جمع آثار الإبراهيمي ونشرها تباعا .

(3)-انظر : نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفترة ما بين (1929-1939) جمع وتوثيق ودراسة، مخطوط رسالة ما جيستير تقديم : محمد العيد تاورته. معهد الآداب واللغة العربية جامعة قسنطينة، العام الجامعي 1979/1980.

(4)-انظر : حياة كفاح مذكرات (القسم الثاني) في الجزائر(1925.1954) أحمد توفيق المدني. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 .الجزائرسنة 1977 . ص177، وقارن ذلك مع ماورد في مقال : أنا . الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. مجلة مجمع اللغة العربية العدد 21، القاهرة، سنة 1966، ص147.

(5) مجلة الشهاب، المجلد السابع، الجزء الخامس، قسنطينة، غرة محرم 1350هـ /ماي 1931 ص341-344 .

(6)- "اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه". انظر :نص: الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين، المصدر السابق، ص341 .

(7)-القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الاصلاحية. المطبعة الجزائرية الاسلامية، سنة1937، ص (5-10) . وانظر بعض مواد هذا النص في كتاب: الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930). الدكتور ابو القاسم سعد الله، ط1، دار

الاداب، بيروت، لبنان 1969، ص504-492 . ولقد اورد الدكتور سعد الله هذا القانون الأساسي منسوبا إلى الإمام عبد الحميد بن باديس متبوعا بعلامة إستفهام(؟) و لا ندري ماذا أراد الدكتور سعد الله من علامة الاستفهام تلك ؟ولقد نشر الدكتور رابح تركي نص القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ملحقا) لكتابه : التعليم القومي و الشخصية الوطنية . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر 1395 هـ / 1975 م . ص ص 398 - 405 . و نشر كذلك ملحقا مستقلا لكتاب :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط 1 . 1402 هـ / 1982 م . و لكن الملحق نشرته دار الكتب ، الجزائر ، سنة 1983. (المطبعة الجميلة) ، و الملحق مستقل عن الكتاب و إن كلن قد توزع طيه .

(8) حياة كفاح (مذكرات) . القسم الثاني . ص 177 .

(9) - مجلة الشهاب . المجلد السابع ، الجزء الخامس ، ص 341

(10) - المصدر السابق . 344 .

(11) - مجلة الشهاب . مصدر سابق . 341 .

(12) - القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و مبادئها الإصلاحية . عبد الحميد بن باديس . المطبعة الجزائرية الإسلامية . قسنطينة . 1937 م .

(13) - ابن باديس حياته و آثاره . إعداد و تصنيف عمار طالبي . دار اليقظة . دمشق . سورية 1968 . الجزء الثالث ، ص 131 .

(14)- مقال : أنا . محمد البشير الإبراهيمي . مجلة مجمع اللغة العربية . العدد 21 ، القاهرة . سنة 1966 . ص 147 ؛ و قد كتب الشيخ الإبراهيمي هذا المقال - الذي هو سيرة علمية لحياته

-سنة 1961 . عندما انتخب عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة . و انظر كذلك كتاب : في قلب المعركة . 1954 / 1964 . الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع . برج الكيفان، الجزائر . ط 1 يناير 1994 . ص 219 .

(15) - انظر ما قلناه في أصل الهامش رقم (8) و قارنه بما هو موجود في أصل الهامش (14) .

(16) - البصائر . السلسلة الأولى . السنة الأولى . العدد : 02 . الجزائر . الجمعة 15 شوال 1354 هـ / 10جانفي 1936م . ص 1 - 2 .

(17) -آثار محمد البشير الإبراهيمي . الجزء الأول . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 1 . 1398 هـ / 1878 م ؛ انظر : المحتوي و الفهرس .

(18)- مجلة الشهاب . المجلد الرابع عشر . الجزء الرابع . ربيع الثاني جمادى الأولى 1357 هـ . (جوان - جويليت) 1938 م . ص ص 186 - 212 .

(19)- ينظر : ابن باديس حياته و آثاره . إعداد و تصنيف عمار طالبي . الجزء الثاني . ص 101 .

(20) - مجلة الشهاب . المجلد 14 . الجزء الرابع ، هامش صفحة 190 ؛ قارن ذلك بكتاب ابن باديس حياته و آثاره . الجزء الثاني . ص101 . و بكتاب : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . الإمام عبد الحميد بن باديس . مطبوعات وزارة الشؤون الدينية . الجزائر . ط 1 . سنة 1402 هـ / 1982 م . ص400 (هامش 1) .

(21) محمد البشير الإبراهيمي . خلاصة تفسير المعوذيتين .

الشهاب . المجلد 14 . الجزءالرابع ، ص 190 .

(22) الإبراهيمي . المصدر السابق ، ص 212 .

(23) - " كان ذلك الأخ الصديق رحمة الله عليه يعلل النفس باتساع الوقت و انفساح الأجل حتي يكتب تفسيرا علي طريقته في الدرس ، و كان كلما جرتنا شجون الحديث إلى التفسير يتمني عليّ أن نتعاون على كتابة التفسير و يغريني بأن الكتابة عليّ أسهل منها عليه . و لا أنسى مجلسا كنا فيه علي ربوة من جبل تلسمان في زيارة من زياراته لي ؛ و كنا في حالة حزن لموت الشيخ رشيد رضا قبل أسبوع من ذلك اليوم . فذكرنا تفسير المنار ، و أسفنا لانقطاعه بموت صاحبه ، فقلت له : ليس لإكماله إلا أنت . فقال لي : ليس لإكماله إلا أنت . فقلت له : حتى يكون لي علم رشيد ، وسعة رشيد، ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد، فقال لي واثقا مؤكدا :" إننا لوتعاونا و تفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيرا يغطي علي التفاسير من غير احتياج لما ذكرت " ؛ ينظر :(محمد البشير الإبراهيمي . مقدمة " مجالس التذكير " ، لفضيلة الاستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس . الذكرى الثامنة . 6 جمادى الثانية 1367 هـ / 16 أفريل 1948 م . المطبعة الجزائرية الإسلامية . ص 9 .

(24) - الإبراهيمي المصدر السابق : (و - ز) .

(25) - الشهاب . المجلد 14 . الجزء 4 . ص 288 . ثم نشرت في كتاب ابن باديس حياته و آثاره . الجزء الرابع ، ص 136 . و في كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . الجزائر . 1402 هـ 1982 / م . ص 474 .

(26)- ينظر : مقدمة كتاب : مجاس التذكير للرئيس عبد الحميد بن باديس . المطبعة الجزائرية . قسنطنية . ص 9 . و انظر

هذا النص (كلمة المحتفل به) في كتاب : قال الشيخ الرئيس (الإمام عبد الحميد بن باديس) . محمد الطاهر فضلاء . مطبعة البعث . قسنطينة . سنة 1968 م . ص ص 225 – 250 . و لقد جاء في نهاية النص تعقيبا من الشيخ : محمد الطاهر ما نصه :(عبد الحميد بن باديس (ارتجالا) و محمد البشير الإبراهيمي (نفلا) . و لعل هذه العبارة تشير إلى قضية (الاشتراك) بين العالمين الكبيرين في هذا النص .

(27) – محمد البشير الإبراهيمي . (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب المجلد 14 . الجزء 4 . ص 183 .

(28) – الإبراهيمي . (تقديمه للكلمة التي نحن بصدد الحديث عنها) . المصدر السابق ، ص288 .

(29) – البصائر – السلسلة الأولى . السنة الرابعة . العدد 160 . الجمعة 16 صفر 1358 هـ / 07 أفريل 1939 م ص 5 .

(30) – الشيخ عبد الحميد بن باديس (فلسفته و جهوده في التربية و التعليم) الدكتور تركي رابح . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر . ط 2 . (د . ت) . ص 157 . و لقد كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس كثيرا حول قرار (8 مارس 1938 م) و مدى تأثيره سلبا على تعليم الدين الإسلامي و اللغة العربية لأبناء الجزائر، ومن ذلك قوله ضمن كتاب مفتوح إلى المعلمين الجزائريين باللغة الفرنسية آنذاك :" في هذه السنة على الخصوص جرت أعمال شاذة من إقفال مدارس ، و تعطيل رخص ، و إهمال مطالب – لا نطيل عليكم بعدها – و كانت خاتمتها استصدار قرار (8) مارس الأخير تكميلا لسلسلة القرارات الجائرة ، فارتاعت الأمة الإسلامية العربية ، و اعتقدت على أن لهذا القرار ، و ما سبقه من المنورات ، إنما هو إشهار للحرب علي أعز عزيز لديها و

هو : دينها و لغتها " . كتاب : قال الشيخ الرئيس (الإمام عبد الحميد بن باديس) . محمد الطاهر فضلاء ، مطبعة البعث ، قينطينة . 1968 م ص 222 . و من أقوال ابن باديس أيضا حول قرار (8 مارس 1938 م) ضمن كتاب مفتوح إلى جمعية قدماء المحاربين من الجزائريين آنذاك :" ما زالت الحكومة تضايق أمتكم في تعلم دينها و لغتها ، و مازالت تضيق علي من يعلم اللغة و الدين ، و مازالت تحارب المدارس الدينية العربية فتغلق كل يوم واحدة حتي رمتنا في الشهر الماضي بقرار (8مارس) ، و هو ضربة قاضية على دينكم الذي به تتشرفون ، و لسانكم الذي إليه تنتسبون " . ص 225 . من كتاب : قال الشيخ الرئيس المذكور أعلاه ، و النصان السابقان أخذهما الشيخ محمد الطاهر فضلاء من صحيفة : البصائر . السلسلة الأولى ، العدد 110 . 22 أفريل سنة 1938 م.

(31) – عبد الحميد بن باديس . (8 مارس) . البصائر ، السلسلة الأولى ، السنة الرابعة ، العدد 156 ، الجمعة 18 محرم 1358 هـ / 10 مارس 1939 م ص 01 .

(32) – البصائر ، السلسلة الأولى ، السنة الرابعة ، العدد 160 ، ص 1 – 2 .

(33) – حياة كفاح ، القسم الثاني ، ص 337 .

(34) – نشر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939 . جمع و توثيق و دراسة ، مخطوط رسالة

ماجستير ، محمد العيد تاورته . معهد اللغة و الأدب العربي ، جامعة قسنطينة ، سنة 1980 م ؛ محتوى الجزء الأول .

(35) – حياة كفاح أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 336 .

(36) – المرجع السابق ، حيث يقول :" و كان العلماء قد قرروا من قبل ، أنه إذا وقعت حرب ، و اشتركت فرنسا مضطرة أو مختارة في المجزرة البشرية فإنهم سوف يلازمون السكوت ، و يعطلون الشهاب ، و لا يقولون أي كلمة تفيد فرنسا أية إفادة ، لقد نسيتنا ساعة رخائها ، فإننا ننساها ساعة شدتها .و المستقبل لله " . ص 274 –. و حول هذه القضية (قضية السكوت) يقول الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي :" لما أعنت الحرب العالمية الأخيرة اجتمع أعضاء المجلس الإداري للجمعية ليقرروا ما يلزم لمستقبل الجمعية احتياطا ، لأنهم خشوا أن تمنعهم التدبيرات العسكرية من الاجتماع و اللقاء في أثناء الحرب ، فيكون كل عضو محبوسا في بلاده ، و ربما كلف كل عضو بتصريح أو بإبداء رأي لا يتفق مع مباديء الجمعية ، فاتفقوا على تقرير السكوت سدا للباب ؛ بمعنى أن من سئل وحده أو كلف بشيء مما يرجع إلى الجمعية سكت و لم يجب بشيء " عيون البصائر . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر . سنة 1971 م ، ص 17 . هامش 1 .

(37) – حياة كفاح . القسم الثاني . ص 337 .

(38) – نشر هذا النص لأول مرة في (كراسة) تحت عنوان :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . (التقرير) الذي قدمه المجلس الإداري باسم الجمعية إلي رجال الحكومة الجزائرية ، في أواسط رمضان 1363 هـ / 5 أوت 1944 م ؛ يتضمن خلاصة مطالبها الدينية في التعليم العربي و المساجد و القضاء ، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة . (د . ت) . و تتكون تلك الكراسة من ست و عشرين صفحة (26 ص) . و قد أعيد نشره في (الجزء الأول) من آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر . ط 1 . 1398 هـ / 1978 م . ص ص 332 - 341. و قد أعيد نشره قبل ذلك ضمن ملاحق كتاب التعليم القومي و الشخصية الوطنية . الدكتور رابح تركي . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . سنة 1395 هـ / 1975 م . ملحق رقم 1 .

(39) - انظر المرجع السابق . ص 332 .

(40) - انظر : نهاية التقرير في الكراسة المذكورة سابقا و في الجزء الأول من آثار الإبراهيمي . ص 341 .

(41) - انظر : آثار محمد البشير الإبراهيمي . الجزء الثالث . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر . ط 1 . سنة 1402 هـ / 1981 م . ص 185 . و انظر كذلك : البصائر .(السلسلة الثانية) . العدد 87-18 (جويلية) . سنة 1949 .

(42) - آثار الإبراهيمي . الجزء الثالث . ص 185 - 186 .

(43) - انظر : آثار الإبراهيمي . الجزء الثالث ، ص 219 . و انظر كذلك : البصائر . (السلسلة الثانية) . السنة الثالثة . العدد

108 . 20 فيفري 1950 م .

(44) – آثار الإبراهيمي . الجزء الثالث ، ص 219 –220 .

(45) – المرجع السابق ، ص 233 . و انظر كذلك : البصائر . (السلسلة الثانية) . السنة الثالثة . العدد 124 . 19 جوان. 1950 .

(46) – الجزء الثالث من تلك الآثار . ص ص 185 – 191 ، ص 233 – 248 .

(47) – المرجع السابق : ص 234 .